الفصل الأول

مقدمة لبيان أسباب تأليف الكتاب

في أبريل ٢٠٠٩، تلقيت رسالة بالبريد الإلكتروني من الكاتب والإعلامي المغربي نور الدين لشهب -حفظه الله ورعاه- يطلب فيها إجراء حوار صحفي معي عن تجربتي في برنامج «الحوار الصريح بعد التراويح»، فأجبته بالموافقة، ونشر الحوار بالفعل يوم ٦ مايو ٢٠٠٩.

قبلت الطلب بسرعة مجاملة لصاحبه الذي سبق أن أرسل لي قبل أكثر من عام رسالة الكترونية مثيرة، أبلغني فيها أنه كان يكرهني كرها شديدا بسبب استقالتي من حركة النهضة التونسية وخلافاتي معها، ثم غير رأيه بعد مدة من مشاهدته لمناقشات برنامج «الحوار الصريح»، وأبلغني أن البرنامج أثر في مسار حياته، وساعده في الإهتداء إلى المنهج الإسلامي الوسطي.

أشار نور الدين لشهب إلى أهمية برنامج «الحوار الصريح» وإلى

قصته الشخصية مع مقدمه، في الموقع الإلكتروني للجريدة المغربية الإلكترونية التي يكتب فيها، ضمن تعليق له على واحد من ردود الأفعال الكثيرة التي وردت على حواره معي. مما جاء في هذا التعليق لنور الدين لشهب:

«يوم السبت التقيت في الرباط صديقاً يدرس في الكلية وكان مهتماً بالفكر الاسلامي، والحقيقة هو أستاذي سابقا، قرأ الحوار في هسبريس وأعجب به كثيرا، ووردتني رسائل من زملاء وأصدقاء تبارك الحوار مع صاحب برنامج حواري يتتبعه الملايين في الوطن العربي والإسلامي والجاليات في البلدان الغربية.

أما رأيي في الدكتور الحامدي، أقولها لكم، وقد سبق لي أن قلتها له وتقبلها مني بتواضع المثقف المسؤول، لقد كنت أكرهه كثيرا، ولكن المدة التي عشتها ما بين ١٩٩٦ إلى عام ٢٠٠٠ تقريبا جعلتني أحبه كثيرا كثيرا وأحترمه، وقد قلتها له وسامحني».

(الرابط الإلكتروني للحوار وهذا التعليق وسائر التعليقات الأخرى:

http://www.hespress.com/?browser=view&EgyxpID=12562

بعد نشر الحوار بأيام، اتصل بي أحد العلماء الأفاضل وطلب مني السماح له بنشر الحوار الصحفي في كتاب، لتعميم ما رأى فيه من فوائد. فأبلغته أنني أفكر منذ فترة في تدوين أهم نتائج "الحوار

الصريح بين التراويح"، وأنني آمل أن أتفرغ لإنجاز هذه المهمة قريبا، وسأضمنها ما أشرت إليه في حواري الصحفي مع الكاتب نور الدين لشهب.

وقد يَسّرَ اللّه -عز وجل بكرمه وإحسانه- لي أن أبدأ العمل في هذا المشروع يوم الخميس، السادس عشر من رجب ١٤٣٠ هجرية، الموافق للتاسع من يوليو ٢٠٠٩.

بدأت مناقشة الخلاف السني الشيعي في برنامج "الحوار الصريح بعد التراويح" في قناة المستقلة الفضائية في رمضان ١٤٢٣ هجرية، الموافق لشهر نوفمبر ٢٠٠٢ ميلادية. وكان القصد من البرنامج، ومازال، تضييق الهوة بين المسلمين السنة والشيعة، وتحسين العلاقة والتقريب بين الطرفين، من خلال إدارة حوار صريح وعلمي وموضوعي حول المسائل الخلافية بين الطرفين.

بدأت الحوار وفي ذهني أيضا أن بعض العلماء والباحثين المسلمين المحسوبين على المدرسة السلفية يسهمون في تعقيد مهمة التقريب بين السنة والشيعة، وأنهم يميلون إلى التشدد في التعاطي مع هذا الموضوع، ووضعت من بين أهدافي أن أحاول إقناع هؤلاء العلماء بتغيير نهجهم، وتشجيعهم على فهم الأطروحات الشيعية بموضوعية أكبر، وسماعها مباشرة من أصحابها وليس عن طريق النقل غير الدقيق أو الموثوق.

كنت -ومازلت- على علاقة طيبة مع الكثير من الأصدقاء الشيعة

والحمد لله، وقد وعدت من استضفت منهم في برنامج "الحوار الصريح بعد التراويح" بأن أعطيهم الوقت الكافي لشرح وجهات نظرهم في المسائل الخلافية بكل حرية، وآمل أن أكون قد وفيت بوعدي، من خلال مئات الندوات التلفزيونية التي قدمتها على الهواء مباشرة، وقسمت فيها الوقت بين العلماء السنة والشيعة بالدقيقة والثانية، ودافعت فيها عن حق علماء الشيعة في طرح نظرتهم للإمامة، ولاجتماع السقيفة المشهور، والصحابة، وظروف وفاة السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها، واستشهاد الإمام الحسين رضي الله عنه، ومكانة أهل البيت، والموقف من الأضرحة ودعاء الأئمة والأولياء، ومسائل أخرى مشابهة، بكل حرية، مع تأمين الوقت الكافي لهم لشرح هذه المواقف وتقديم الأدلة التي تسندها.

هذه السياسة مني تجاه العلماء الشيعة، المبنية على تعاطف قديم لي -أيام الدراسة الجامعية- مع الثورة الإسلامية في إيران، جعل بعض المؤيدين للموقف السني، وخاصة من المحسوبين على المدرسة السلفية، يتهمونني بالانحياز للشيعة وإيران، وروج بعضهم أخبارا كاذبة لا أساس لها من الصحة عن اتفاق بيني وبين الدولة الإيرانية لهذا الغرض.

كنت -ومازلت- منفتحا على المسلمين الشيعة، ولا أحمل أي حقد تجاههم، وكان هدفي من البرنامج -ولا يزال- إعادة النظر في تراثنا الموروث حول المسائل الخلافية بين المسلمين الشيعة والسنة، وتسليط معارفنا المعاصرة عليها، ومعرفة الحقيقة حول تلك المسائل عبر

إعطاء الأولوية للحجة والدليل والبرهان، وليس للعواطف والخرافات والأساطير.

الجهل ليس ميراثا نفتخر به، والكره وعدم التسامح ليس ميراثا نتمسك به. ومن واجبنا إعادة النظر في موروثاتنا، بروح النقد والتجديد والإجتهاد؛ لأن ذلك هو الطريق الأفضل والأقصر والأنجع للوصول إلى التعايش الأخوي والتسامح والقبول الصادق بالتعددية وحق الاختلاف، ولتخليص مجتمعاتنا العربية والإسلامية من تراث التكفير والأحقاد والكراهية.

تلك هي أهداف برنامج "الحوار الصريح بعد التراويح". ومع أنني ولدت وترعرعت في بيئة سنية مالكية في تونس، فقد بذلت كل ما في وسعي من أجل أن أجعل من البرنامج جامعة علمية مفتوحة، الأولوية فيها للدليل العلمي وليس للعواطف والأفكار الموروثة.

وبعد سبع سنوات من تقديم البرنامج وإعداده، ومن الحوار الصريح الساخن مع ضيوفه، والقراءة والتدقيق العلمي في مصادرهم وأدلتهم، أشعر أن الوقت قد حان كي أكشف لمن يهمه الأمر فقط ما توصلت إليه شخصيا من نتائج.

لست أدعي العصمة فيما توصلت إليه من نتائج، وإنني أضيف من البداية لكل نتيجة توصلت إليها ونشرتها في هذا الكتاب عبارة: "والله تعالى أعلم".

لست أدعي العصمة، وأقول إن الله تعالى أعلم، ثم أضيف بعد ذلك أنني آمل أن تسهم الآراء التي أنوي عرضها في هذا الكتاب في خدمة ذات الأهداف التي رسمتها لبرنامج "الحوار الصريح"، أي: إعادة النظر في تراثنا الموروث حول المسائل الخلافية بين المسلمين الشيعة والسنة، وتسليط معارفنا المعاصرة عليها، ومعرفة الحقيقة حول تلك المسائل عبر إعطاء الأولوية للحجة والدليل والبرهان، وليس للعواطف والخرافات والأساطير.

نهج التقريب الناجح المفيد

بعد كتابة أكثر فصول هذا الكاتب رأيت أن أسميه "رسالة التقريب بين السنة والشيعة".

كنت فكرت أولا في اعتماد عنوان "نتائج الحوار الصريح بين علماء السنة والشيعة"، ثم رأيت أن أتوجه قدما نحو الهدف الأهم لهذا الحوار، منذ بدأته في قناة المستقلة، وهو التقريب وتضييق شقة الخلاف بين المسلمين.

واخترت عنوان "رسالة التقريب" لأنني متحمس بقوة للتقريب بين المسلمين الشيعة الإمامية الإثني عشرية وإخوانهم السنة، وأعتبر ذلك واجبا شرعيا على كل من يقدر عليه. ومما يحث على ذلك ويرغّب

فيه قول الله تعالى:

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

(الحجرات: ١٠)

وقوله سبحانه وتعالى:

﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٣)

وقوله سبحانه وتعالى:

﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾. (النساء: ١١٤)

وقد أكد هذه المعاني العظيمة رسول الله ﷺ بقوله: "المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة". (أخرجه البخاري في صحيحه)

وروى الإمام البخاري، في معرض ذكر فضائل الإمام الحسن بن علي رضي الله عنهما، عن أبي بكرة رضي الله عنهما قال : رَأيتُ النّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيه وسَلّمَ عَلَى المنبَر والحَسَنُ بنُ عَليّ إلَى جَنبِه وَهُوَ يُقبلُ عَلَى النَّاسِ مَرَّةً وَعَلَيه أُخرَى ، وَيَقُولُ : «إنَّ ابنِي هَذَا سَيِّدٌ ، وَلَعَلَّ اللهَ أَن يُصلِحَ بِهِ بَينَ فِئَتَينِ عَظِيمَتَينِ مِنَ المُسلمين».

ومما نسب للإمام علي ﷺ في كتاب «نهج البلاغة»، هذا التوجيه الوارد في وصية وجهها لابنيه الحسن والحسين رضي الله عنهما بعد أن أصابه الباغي المجرم عبد الرحمن بن ملجم بالسيف. قال رضي الله عنه: أُوصِيكُمَا، وَجَمِيعَ وَلَدِي وَأَهْلِي وَمَنْ بَلَغَهُ كتَابِي، بِتَقْوَى الله، وَنَظْمِ أَمْرِكُمْ، وَصَلاَحِ ذَاتِ بَيْنِكُمْ، فَإِنِّي سَمِعْتُ جَدَّكُمَا ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ـ يَقُولُ: «صَلاَحُ ذَاتِ الْبَيْنِ أَفْضَلُ مِنْ عَامَّةِ الصَّلاَةِ الصِّيَامِ».

هذه النصوص الشرعية العظيمة كلها ترغب في إصلاح ذات البين والسعي لتوحيد كلمة المسلمين وجمع صفهم. وإني لأرجو الله أن ينفع بهذه الرسالة ويجعلها من أسباب الصلح ولم الشمل وتأليف قلوب المسلمين.

نظرتي للتقريب ومنهجي في السعي له

وأحب أن أبين للقارئ الكريم بعض المنطلقات الأساسية في نظرتي للتقريب ومنهجي في السعي له:

- **أولا**: أومن أن الشيعة والسنة مسلمون، يؤمنون بالله ورسوله، ويؤمنون بأركان الإسلام المشهورة التي لا خلاف عليها: الصلاة والصيام والزكاة والحج، وجميعهم يحلون ما أحل الله ورسوله، ويحرمون ما حرم الله ورسوله، والخلاف بينهم في هذه الأمور كلها في أمور فقهية فرعية بسيطة.

- **ثانيا**: أرى أن الخلاف الذي نشأ وتعمق تاريخيا بين الطرفين يدور في الأصل حول الإمامة والسلطة، وسببه الأساسي سياسي تم تلبيسه لبوس الدين، وكل الخلافات الكبيرة الأخرى بين الطرفين، وأشهرها الموقف من الصحابة رضي الله عنهم، وأحكام عَقَدية كبيرة تدين المخالفين في المذهب، نشأت بسبب هذا الخلاف السياسي.

ومن هنا يكمن الأمل في تحقيق الصلح بين الطرفين؛ لأن الشريعة الإسلامية لا يوجد فيها ما يبرر الخلاف القائم، وما يجوز الاستمرار فيه.

- **ثالثا**: أريد أن يسود السلام ومشاعر الأخوة والمحبة بين المسلمين الشيعة والسنة، وأن تختفي لغة العنف، ومشاعر الكراهية بينهم في كل مكان. أومن بالعدل واحترام حقوق الإنسان، واحترام حقوق الأقليات، حيثما وجدت أقلية شيعية في دولة ذات غالبية سنية، وحيثما وجدت أقلية سنية في دولة ذات أغلبية شيعية.

الإسلام قائم على العدل، ومن زعم الدفاع عن الإسلام بترك

مبادئ العدل، سنيا كان أم شيعيا، فإنه يترك ركنا عظيما من أركان العمران والحضارة في الإسلام وفي تاريخ الإنسانية.

- **رابعا**: أرى أنه إذا عاد علماء الإسلام إلى المصادر الأصلية للإسلام: القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، فسينتهي الخلاف بين السنة والشيعة. أنا واثق أن التقريب بين السنة والشيعة، بهذه الروح وهذه المنهجية، ممكن جدا، وأنا أسعى لتحقيق هذا الهدف، وأسأل الله التوفيق، بعض الناس يقولون إنني أحلم عندما أرسم لنفسي مثل هذه الأهداف، والواقع أنني لا أحلم، وإنما أسعى في تحقيق هدفي بالليل والنهار، وأرى بعض الثمار الأولية المبشرة في تصريحات ومواقف عملية من كثير من مشاهدي برنامج «الحوار الصريح».

- **خامسا**: الوحدة التي أطمح إليها هي تلك التي تتحقق من خلال الاتجاه نحو الإسلام الذي كان سائداً في عهد الرسول ﷺ وعهد الخلفاء الراشدين. إسلام التوحيد الخالص، إسلام الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وبأن الله على كل شيء قدير، إسلام الصلاة والزكاة والصوم والحج، إسلام الصدق والأمانة وبر الوالدين، إسلام الأمانة ومساعدة الفقراء والمحتاجين ومكارم الأخلاق، إسلام الشورى والديمقراطية وحقوق الإنسان، إسلام الحرية والعدالة والكرامة للرجال والنساء، إسلام العهود والمواثيق وحسن الجوار مع كل الأمم، إسلام الحوار والكلمة الطيبة والجدال بالتي هي أحسن.

- **سادسا**: المنهج الصحيح الناجح المفيد لتحقيق تقارب حقيقي يبقى ويثبت ويدوم بين المسلمين الشيعة والسنة هو منهج المصارحة، وعرض الخلافات على القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، والتزام منهج الدليل الصحيح الواضح الذي لا لبس فيه ولا خلاف حوله.

أما منهج تجاهل مسائل الخلاف الكبرى، والخوف من المناقشة الموضوعية الصريحة لأدلتها، بغرض إثبات صحتها أو بطلانها، فمنهج جربه الكثيرون في الماضي ولم يحقق أي نتيجة مفيدة، وكثير من الندوات التي يعقدها أهل هذا المنهج تنتهي مواسم للسياحة والمجاملات، وربما للتضليل والمغالطة وترويج الأخطاء والأوهام.

إن من أسباب استحكام الخلاف بين المسلمين الشيعة والسنة وديمومته في السابق غياب منابر جدية للحوار حول المسائل الخلافية في ضوء المصادر الإسلامية الكبرى وفي ضوء مقتضيات اللغة والمنطق السليم.

ما يدفعني للتفاؤل هي تجربة برنامج «الحوار الصريح» في قناة المستقلة الفضائية. لقد وضعنا الخلاف الموروث أمام طاولة البحث. وسلطنا أضواء الإعلام على موضوعات الخلاف. ثم أشهدنا ملايين الناس على المناقشة، ولم يعد سهلا على أي عالم سني أو شيعي ترويج الوهم أو تسويق الخرافة وتدليس الحقائق.

لذلك أكرر الإعراب عن أملي في أن ننجح في تحقيق اختراق

تاريخي كبير في هذا الموضوع خلال جيل أو جيلين من الزمن، وأن ننجح في فتح صفحة جديدة في العلاقات بين السنة والشيعة، لا كره فيها ولا عداوة ولا مناداة بالثأر. إن نور الحقائق والأدلة الصادقة الصحيحة سيبدّد قريبا جدا -بعون الله- ظلمات التدليس والخرافة والأكاذيب، وسيزيل كثيرا من العقبات المورثة أمام الوحدة الإسلامية، وسيسمح بإعادة صياغة العلاقات بين المسلمين الشيعة والسنة.

- **سابعا**: قلت في حديث صحفي مطول جعلته ملحقا من ملاحق هذه الرسالة: إنني أعتبر نفسي متحررا من المذاهب والمذهبية، مع عظيم اعتزازي بأشهر علماء الإسلام واعترافي بفضلهم، وفي مقدمتهم إمام دار الهجرة مالك بن أنس رضي الله عنه، جزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

مذهبي في مسائل الخلاف بين المسلمين هو الدليل، والقصد: فأينما صح الدليل فهو مذهبي.

- **ثامنا**: هذه الرسالة هي جهد كاتب مسلم في القرن الخامس عشر الهجري، الموافق للقرن الحادي والعشرين الميلادي، وهي ثمرة قناعاته الحرة، ولم تكتب لإرضاء شخص أو هيئة أو حكومة.

وقد رويت في الحديث الصحفي مع الإعلامي المغربي نور الدين لشهب: إنني من قبل أن أصل العشرين من العمر، وقبل أن أزور المملكة العربية السعودية أو أي بلد آخر في العالم، تبنيت فكرة الإحياء

الإسلامي، وفكرة إصلاح الأوضاع العربية بالمنهج الإسلامي، منذ ذلك الوقت وأنا ثابت على هذا المنهج بفضل الله وتوفيقه وكرمه. تعلمت بعد ذلك الكثير في جامعة تونس وجامعة لندن، وتعلمت من دروس الحياة، ومن تجاربي في العمل، وفهمت أمورا كثيرة بشكل أفضل، وزادت قناعتي بصلاحية الإسلام لكل زمان ومكان، وبأن رسول الله ﷺ هو بالفعل الرحمة المهداة لكل الناس في كل عصر، تعلمت ومازلت إلى اليوم طالب علم، لا أدعي لنفسي عصمة ولا كمالا.

من أهم ما تعلمته أيضا أن التجارة بالدين خسران مبين، ماذا ينفعك أن ترضي هذه الحكومة أو تلك، وتخسر ضميرك واحترامك لنفسك، وتغضب ربك الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور؟

- **تاسعا**: أنا أحب المسلمين السنة والشيعة، وأتبنى منهج الإمام علي رضي الله عنه في النظر إلى الناس: فهم إما أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق، ومن الإسلام وسير الصالحين تعلمت أن أسعى للإسهام -ولو بنسبة واحد في الألف من الجهد- في تجديد الفكر الإسلامي المعاصر، وتوحيد صفوف المسلمين، وإسعاد البشرية كلها بنور الإسلام وعدله ورحمته، وبما فيه من قيم الحرية والعدالة وحقوق الإنسان.

* * *

تلك هي الأسس التي استندت إليها في كتابة «رسالة التقريب». وسيجد القارئ الكريم أنني قررت الدخول فورا في مناقشة مسائل

الخلاف بوضوح وبصراحة، وفي هذا السياق، بدأت بعرض ما يؤمن به علماء الشيعة، وما يرون أن على المسلم السني أن يؤمن به من أفكار ليصبح شيعيا إماميا، ثم نظرت في تلك الأدلة في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية والصحيحة، وتوصلت إلى نتائج واضحة وضعتها بين يدي القارئ الكريم.

إنني أرجو أن تسهم النتائج التي توصلت إليها في معالجة الخلاف الشيعي السني، والتقريب بين المسلمين، وفتح صفحة جديدة في العلاقات بين أبناء المذهبين قوامها المحبة الصادقة والموالاة والتضامن، بما يترجم قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الحجرات: ١٠)، وقوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾. (آل عمران: ١٠٣).

أسأل الله تعالى أن يرينا الحق حقا ويرزقنا اتباعه، ويرينا الباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه، وأن يتقبل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، ويبارك فيه، وينفعني به يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

وصلى الله وسلم على الرحمة المهداة للعالمين، سيدنا محمد خاتم النبيين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأصحابه الأخيار من المهاجرين والأنصار، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

والحمد لله رب العالمين.